تعريف علوم القرآن في تفسير (مواهب الرحمن) للسيد عبد الأعلى السبزواري قدس سره

د. حسين علي حسين المهدي
كلية الآداب - جامعة البصرة

المقدمة:

باسمه تعالى اسمه والحمد لله على ما أنعم وله الشكر على ما ألهم وأصلي وأسلم على النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله سادات العرب والعجم وأطلب منه التسديد لما يحب ويرضى دوما وأبدا.

اعتنى المفسرون بعلوم القرآن وذلك لعنايتهم بموضوعه وهو القرآن، وهدف علوم القرآن إيصال المعاني القرآنية للمتلقين، فكأنّ موضوعات هذا العلم آليات للوصول إلى المعاني المطلوبة، وقد تناولت بعضا من موضوعات علوم القرآن عند السيد عبد الأعلى السبزواري قدس سره وهو علم من أعلام التفسير والفقه والأصول[1]

(١) السيد عبد الأعلى بن علي رضا بن عبد العلي بن محمد الحائري السبزواري وُلِدَ في (سبزوار) وهي مدينة في شمال إيران، ونُسِبَ إليها، عالم، فقيه، فيلسوف، عارف، مفسر، أصولي، مجتهد، تخرج على يده جملة من العلماء الأفاضل آلت إليه المرجعية بعد وفاة السيد أبي القاسم الخوئي قدس سره في ٨ من شهر صفر سنة ١٤١٣ الموافق ٨/ ٨/ ١٩٩٢م، وكانت ولادته المباركة عام ١٣٢٨هـ. وتوفي في صفر سنة (١٤١٤ هـ)، ودُفن في منطقة الحويش في شارع الرسول صلى الله عليه وآله في النجف الأشرف في المسجد الذي كان يصلي فيه. ينظر في ترجمته: معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام، د. محمد هادي الأميني: ٢/ ٦٦٥، وينظر: العارف ذو الثفنات قراءة تحليلية للأبعاد المشرقة من حياة سماحة آية الله العظمى السيد عبد الأعلى السبزواري -ضياء عدنان الخباز: ٢٩، وألطاف الباري من نفحات الإمام السبزواري -عبد الستار الحسني: ١٥، ١٥٧، ونفحات عرفانية من إفاضات العارف الرباني السيد عبد الأعلى السبزواري ـ إبراهيم سرور: ٦-١٠.

متتبعا آراءه ما أمكن في تفسيره مواهب الرحمن في تفسير القرآن لإعطاء رؤية واضحة عن الموقف التفسيري لديه وعلاقة علوم القرآن بالمعنى التفسيري والله ولي الامتنان والإحسان، ومن علوم القرآن التي يتناولها البحث ما يأتي:

أولاً: التفسير والتأويل عند السيد السبزواري:

التفسير: وهو كشف المغطى وكشف القناع ببيان أول مرتبة من مراتب معاني اللفظ ((التفسير: من فسر وهو السفر بمعنى واحد أي كشف القناع ويحصل ذلك ببيان أول مرتبة من مراتب معاني اللفظ))[٢]، وقد يكون بتبادر المعنى من اللفظ واستعماله فيه حتى لو كان من المجاز وعبر عنه بالظاهر والتنزيل وهو حجة، أما التأويل فهو رتبة أعلى من التفسير في بيان المعاني إذ يشمل التفسير وغيره، وهو مختص بأئمة الدين، ويشير السيد السبزواري إلى أن التأويل من المصطلحات التي تشمل تحتها معاني كثيرة من الماديات والمعنويات والزمانيات والمكانيات، وعبر عنه بعلم البلايا والمنايا، وله مراتب كثيرة لعلها بطون القرآن؛ لأنه ((عرض عريض فيشمل كل ما له قابلية الشمول))[٣] وعلى حد تعبير السيد السبزواري ((التأويل: من الأول: أي الرجوع إلى الأصل أو البيان وله مراتب كثيرة... تارة: يكون واقعياً وعن حجة معتبرة، وهو ممدوح، تارة: يكون اعتقادياً وبلا حجة معتبرة، وهو مذموم))[٤] يفهم من التعريف مع ما سبق من رأيه إنّ التأويل بمعنى إرجاع الغامض إلى الواضح أو المتشابه إلى المحكم إذ ((إنّ المحكمات بمنزلة المادة للآيات الشريفة، فلا بدَّ من رجوع جمعيها إليها وإلا يكون من قبيل الصورة بلا مادة، وهو غير ممكن))[٥]، أو أنه بيان الحقائق الواقعية على اختلاف مراتبها وإذا وصلنا إليها تتم أغراضنا وسعادتنا إذ أبان

(٢) مواهب الرحمن في تفسير القرآن: السيد عبد الأعلى السبزواري: ٥/ ٨٣.
(٣) المصدر نفسه: ٥/ ٨٣.
(٤) المصدر نفسه: ٥/ ٤٤.
(٥) المصدر نفسه: ٥/ ٥١.

أن مصطلحة التأويل ((هي المصالح الواقعية التي ينشأ منها الحكم، فيترتب عليها العمل، وهي التي يسعى الإنسان في جهده للوصول إليها و... بها تتم أغراضه وسعادته))[٦]، والتأويل بمعنى تعبير الرؤيا إذا كان حاكيا عن حقائق خارجية أي الذي يعبر الرؤيا عالم بالواقع الخارجي أي من الراسخين بالعلم حينئذ يسمى تأويلا قال تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[سورة يوسف: ٦]، ونلاحظ في الآية تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ نِعْمَة عَلَى يوسف وعلى آبائه الأولياء، فالتأويل إفاضة إلهية على الأولياء، ومن أمثلة التأويل التي ذكرها السيد قصة نبي الله موسى والخضر عليهما السلام وهي في سورة الكهف من الآية ٦٦ إلى الآية ٨٢، وكان معنى التأويل واضحا ببيان المعاني والوقائع الخارجية لذلك قال الخضر عليه السلام: ﴿ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾[سورة الكهف: ٧٨] فالتأويل قد يكون غير متعلق باللفظ وإنما يكون متعلق بالفيض الإلهي كما مع الخضر فتأويله لم يكن متعلق باللفظ ولا بالظاهر وإنما أمور باطنية عرفها بالإلهام الإلهي وهذه الأمور ليست حجة إلا على أهلها أما التفسير فهو حجة على الجميع كما مرّ، المخصوصون بالتأويل هم الراسخون في العلم محمد وآل محمد والأولياء عليهم السلام كما نص بذلك القرآن ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ﴾ [سورة آل عمران: ٧] قال السيد السبزواري: ((إنّ أسرار التأويل تجري في التكوينات من حيث بدأها إلى ختامها، وإنّ وقوعها في الخارج مطابق للتأويل الذي يكون في القرآن ولا يَعْلَمُه إلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ففي الحقيقة يمكن استفادة جميع أسرار التكوين من الآيات الشريفة بالتأويل كما يظهر من الآيات الشريفة قال تعالى ﴿ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾[سورة يس: ١٢]...))[٧].

(٦) المصدر نفسه: ٨/ ٣٦٢.

(٧) المصدر نفسه: ٥/ ٧٠.

ملخص مفهوم التأويل عند السيد السبزواري:

١. توجيه المتشابه بالرجوع إلى الأصل أي بإرجاع المتشابه إلى المحكم.

٢. بيان مصاديق الحقائق الخارجية ومآل الأمر فيها وعاقبتها الكائنة.

٣. تعبير الرؤيا أي بيان المعاني في تفسير الأحلام إذا كانت حاكية عن حقائق ووقائع خارجية.

٤. بيان معاني الآيات على حقيقتها والمفهوم الذي تنطوي عليه؛ لأنّها رتبة أعلى من التفسير.

والتأويل عنده على قسمين كما مرّ في نصه السابق تأويل مقبول وتأويل مرفوض، وكذلك التفسير عنده على قسمين ويفهم ذلك من مقدمته لتفسيره وفيما أوضحه من معنى التفسير وهما: الأول التفسير المقبول: وهو الموافق لأصول الشريعة ومبادئها من عقل ونقل، والثاني: التفسير المذموم وهو التفسير بالرأي: وهو الذي رفضته الشريعة ومبادئها[٨] وهذا الذم ينطبق على التأويل المذموم؛ لأنّه تأويل(تفسير) بالرأي كذلك، فالتفسير بالرأي: هو إظهار المعاني القرآنية وفق مبادئ المفسر وهواه لا وفق مبادئ الله عز وجل المقررة عند الرسول والأئمة الطاهرين عليهم السلام ومن تابعهم من المفسرين الملتزمين والعلماء العاملين، وقد جاءت فيه روايات كثيرة عن الرسول صلى الله عليه وآله استعرض السيد السبزواري قسماً منها وذكر بعد العرض لها الذم الصريح في إعمال الرأي بالقرآن، ثم ذكر ثلاثة احتمالات في تلقي القرآن والنظر فيه وبين أياً من تلك الاحتمالات تكون هي التفسير بالرأي، والاحتمالات هي[٩]:

(٨) ينظر: المصدر نفسه: ١/ ٤ -٥، ونفسه: ٥/ ٨٣، ٨٥، وفي المعنى اللغوي ينظر العين: الخليل بن أحمد: مادة (فسر) ٧/ ٢٤٧، وينظر: في المادة اللغوية للتأويل نفسه: مادة أول: ٨/ ٣٦٩، ومفردات ألفاظ القرآن: الراغب الأصفهاني: مادة (فسر): ٦٣٦، ونفسه في مادة: أول: ٩٩، والمعجم الوسيط: مجموعة من المؤلفين: مادة (فسر): ٦٨٨، ونفسه في مادة: أول: ٧٠، وينظر في مفهوم التفسير والتأويل الاصطلاحي: تلخيص التمهيد: محمد هادي معرفة: ١/ ١١١، ٤٣٠-٤٤٨.

(٩) ينظر الاحتمالات: مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ٥/ ٦٤ -٦٥، ونفسه ٥/ ٤٤، وينظر في

١. الأخذ بظاهر القرآن المتعارف عليه الذي لا لبس فيه مثل قوله تعالى: ﴿ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ﴾[سورة المائدة: ١]، وهذا لا إشكال فيه لكي لا يبطل الإفادة مما جاء في آيات التدبر والتفكر في القرآن الكريم نحو قوله تعالى ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾[سورة محمد: ٢٤].

٢. الفهم الذهني بسبب الحركة الفكرية البسيطة الذي يصاحب التلقي الأولي للنص، ولا يترتب عليه أثر في الحكم فلا إذعان، ولا اعتقاد، وهنا لا إشكال في هذا الفهم أيضا؛ لأنه قد يكون بلا اختبار.

٣. الفهم الشخصي المترتب على النظر في القرآن الكريم مع الحكم والإذعان وترتيب الآثار عليه على أنه هو مراد الله جلت قدرته، وهنا يكمن الإشكال على الفاهم للمعاني بحسب ذوقه وأهوائه وتحميل النص ما لا يريد والذم الوارد في النصوص يقع عليه إذ لا بد من حفظ مراد القائل في كلماته لو كان من أعاظم الناس فكيف بقائل القرآن العظيم؟. فيأتي تفسيره وتأويله عند هذه الفئة منهم ابتغاء للفتنة، وابتغاء لتأويله حسب آرائهم وأهوائهم ومعتقداتهم الفاسدة مغرورين بأنفسهم وبإدراكاتهم القاصرة، فيصبحون مستحقين للذم لتفسيرهم وتأويلهم بلا حجة معتبرة، ولا دليل بيّن، وقد لجأ السيد إلى التخلص من هذا اللون من التفسير بالاستناد إلى تفسير القرآن نفسه بنفسه أي تفسير القرآن بالقرآن والسبب؛ ((لأنه تبيان كل شيء فإذا كان كذلك، فأولى أن يكون تبيانا لنفسه مستدلاً لذلك بما ورد من السنة النبوية والمأثور عن آله الذين قرنهم النبيﷺ بالكتاب، وجعلهم الأدلاء عليه فجمعت بينهما وبين ما اتفق عليه الجميع مع تقرير الشريعة له))[١٠]، محاولًا استظهار معاني ((الآيات المباركة بقرائن معتبرة))[١١]، تحاشياً

الروايات التي تذم التفسير بالرأي: بحار الأنوار: المجلسي: ٣٠/ ٥١٢، ٣٦/ ٢٢٧، ٨٩/ ١١٠.

(١٠) مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ١/ ٤.

(١١) المصدر نفسه: ١/ ٤.

للتفسير بالرأي، وكان السيد واضحا في تحديده دقيقاً في تعبيراته في بيان التفسير بالرأي ولخص ما ذهب إليه أصحاب علوم القرآن، فلم يوقف الحركة الفكرية عند المتلقين لكي يكونوا من الممتثلين لأمر الله بالتدبير في، ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾[سورة النساء: ٨٢]، فقد اشترط السيوطي قبله[١٢] شرطين لكي يجتنب المفسر التفسير بالرأي وهما يتعلقان في فهم الكلام العربي في نظره:

أولاً: فهم اللفظ في اللسان العربي.

ثانياً: فهم المعاني المحتملة في اللفظ.

مع احتراز المفسر بعدم القطع والجزم بأن المعنى الذي طرحه هو المعنى الوحيد بقوله: والله أعلم أو هذا المعنى هو المحتمل وهكذا، وحدد السيوطي التفسير بالرأي بكون:

١. عدم أهلية المفسر وتمكنه من العلوم التي تساعد على الوصول إلى المعنى السليم.

٢. تفسير المتشابه والقطع به، وهو ما ذهب إليه السيد السبزواري في تفسيره قوله تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴾[سورة آل عمران: ٧]: ((سياق الآية يدل على الذم إن جزم بالمتشابه من دون إرجاع إلى المحكم وترتب الأثر عليه فيدخل في ذلك جميع الآراء الفاسدة والمذاهب الباطلة التي يتمسك بها ببعض الآيات المتشابهة لإثبات ما يدعونه))[١٣].

٣. اعتماد فكر المفسر ومذهبه هو الأساس وجعل التفسير تابعاً لهذا المذهب أو ذلك الفكر والرأي.

٤. القطع بأن هذا المعنى هو مراد الله.

(١٢) ينظر: الإتقان في علوم القرآن -جلال الدين السيوطي: ٢/ ٤٨٠ -٤٨٢.

(١٣) مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ٥/ ٥١.

٥. التفسير بالاستحسان والهوى.

وقد لخص هذه النقاط الخمس محمد هادي معرفة بنقطتين هما[١٤]:

١. تطبيق الآراء والمذاهب والاعتقادات الشخصية على القرآن، لإنجاح معتقد المفسر الذاتي وهو بهذا لم يهدف إلى تفسير القرآن وإنما لتثبيت مذهبه ومعتقده.

٢. محايدة (اجتناب) طريقة العقلاء في فهم معاني الكلام الإلهي (القرآن الكريم).

ومن المحدثين[١٥] من عرف التفسير بالرأي: بالاعتقاد، والقياس، والاجتهاد وقسمه على جائز محمود، وغير جائز مذموم، وكفانا السيد السبزواري مؤونة هذا التقسيم بما سلف من الاحتمالات التي ذكرها.

ثانيا: المحكم والمتشابه:

المحكم: ((ما يعرف المراد منه بلا استعانة قرينة مثل: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾-[سورة الفاتحة: ٤] وقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾-[سورة النور: ٥٦]))[١٦]، وله دلالتان في القرآن الكريم على رأي السيد السبزواري[١٧]:

١. الإتقان والإحكام في الأسلوب والمعنى والإعجاز لجميع آيات الكتاب بما فيها المتشابهات أي كل القرآن محكم من هذه الجهة؛ لأنها صادرة من المبدأ الأزلي.

٢. المحكم المقابل للمتشابه والمراد منه المصون عن التردد والاحتمال في الأذهان المستقيمة، والمحكم أي معلوم الدلالة، وسميت الآيات المحكمة بأم الكتاب﴿هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [سورة آل عمران: ٧]؛ ((لأنها أصول المعارف الإلهية والقوانين الخلقية، وتنظيم الأمور الدنيوية والأخروية))[١٨]، وإليها ترجع باقي الآيات باعتبارها أصل

(١٤) ينظر: التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب -محمد هادي معرفة: ١/ ٦٣ -٦٤.

(١٥) ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن -محمد عبد العظيم الزرقاني: ١/ ٣٦٦ -٣٦٧، والتفسير والمفسرون -د. محمد حسين الذهبي: ١/ ١٦٩.

(١٦) مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ٥/ ٧٧.

(١٧) ينظر: المصدر نفسه: ٥/ ٤٠ -٤١، والإتقان: ٢/ ٥ -١٢.

(١٨) المصدر نفسه: ٥/ ٤١.

والباقي فروع، والفروع ترجع إلى أصولها عند قصور العقول عن درك معانيها، فهي تعد المادة الأساس لجميع الآيات الشريفة فلا بد من رجوعها إليها، وهو المعنى اللغوي الذي أشار إليه أصحاب المعاجم[١٩]، إذ قال تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾[سورة آل عمران: ٧].

و ((تعريف المتشابه: ما لا يعرف المراد منه إلا بالقرينة مثل... قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾-[سورة الفجر: ٢٢]))[٢٠]، وأسبابه اختلاف الإدراكات وقصورها ويكون بالنظر لأول وهلة إذ لا تشابه عند الراسخين في العلم فعلمهم واقعي محكم ويعلمون الناس كيفية إرجاع المتشابه إلى المحكم لحل الإشكال الحاصل عند من تشابه عليه الأمر وكذلك يحل المتشابه بالرجوع إلى السنة المؤكدة أي إلى الراسخين بالعلم، التشابه في أصل وضع الألفاظ ومعاني تلك الألفاظ عند من وضعت له أي اختلاف اللهجات وما يترتب من اختلاف الفهم منها كلمة القرء في الآية الكريمة: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾[سورة البقرة: ٢٢٨] وكذلك يأتي التشابه نتيجة اختلاف القراءات القرآنية، ومنها قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ﴾[سورة البقرة: ٢٢٢] ومادة تشابه لها معنيان[٢١]:

١. توحي بالتماثل والانطباق على الأشياء المتقاربة كماً وكيفاً مما يؤدي إلى التشابه والالتباس إذ المتشابه هو المتَرَدد والمحتمل أي القابل للاحتمالات وقد طرح هذا الرأي في ذكره للمحكم، ومن هذا النوع آيات الصفات الإلهية كقوله تعالى: ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾[سورة الفتح: ١٠]، و﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾[سورة

(١٩) ينظر: المصدر نفسه: ٥/ ٤١ -٤٢، و ٥١، ولسان العرب: ابن منظور: مادة (أ م م): ١٢/ ٢٢.

(٢٠) مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ٥/ ٧٧.

(٢١) ينظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ٥/ ٤٠ -٤١، و٥١، و ٧٨ -٧٩، والإتقان: ٢/ ٥-١٢، ومناهل العرفان: ٢/ ٥٣٠ -٥٣٤.

طه: ٥]؛ لذا كان الذم ظاهرا لمن أخذ المتشابه بهذا المعنى ورتب عليه أثراً دون إرجاعه إلى المحكم، قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴾[سورة آل عمران: ٧].

٢. التماثل والانطباق التام على معاني الكمالات الموجودة في تمام القرآن إذ إنه من هذه الجهة كله متشابه في الفصاحة والبلاغة وبديع الأسلوب لصدوره من مبدأ الكمال والجمال قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ ﴾[سورة الزمر: ٢٣]، وقد أشار السيد السبزواري إلى أن الحروف المقطعة في أوائل السور من المتشابه القرآني الذي هو من مختصات الله تبارك وتعالى أو بمن أودعه الله علمها كالنبي والأئمة عليهم السلام إذ إنها ((أعيت العلماء على جهدهم عن الوصول إلى آثارها فضلاً عن العلم بكيفية تركيبها، والاطلاع على حقائقها وأسرارها... والحق أنها بحسب المعنى من المتشابهات التي استأثر الله تعالى علمها لنفسه... فلا يلزم على العباد الفحص عن حقيقتها، وبذل الجهد في دركها وفهمها بل لابد من إيكال الأمر إليه تعالى))[٢٢].

وذكر السيوطي في المحكم والمتشابه أقوالاً منها: القرآن كله محكم، القرآن كله متشابه، القرآن فيه محكم ومتشابه وهذه الآراء استناداً إلى ما جاء في الآيات القرآنية ((وإنّ المراد بإحكامه إتقانه وعدم تطرق النقص والاختلاف إليه وبتشابهه كونه يشبه بعضه بعضاً في الحق والصدق والإعجاز.. . المحكم ما عرف المراد منه إما بالظهور وإما بالتأويل والمتشابهة ما استأثر الله بعلمه كقيام الساعة وخروج الدجال و الحروف المقطعة في أوائل السور، وقيل المحكم ما وضح معناه والمتشابهة نقيضه، وقيل المحكم ما لا يحتمل من التأويل إلا وجها واحدا والمتشابهة ما احتمل أوجها...))[٢٣]، وغيرها من المعاني التي أشار السيد إلى بعضها ملخصا ودون لبس.

(٢٢) مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ١/ ٧٧ -٧٩، وينظر نفسه: ١/ ٨٠.
(٢٣) الإتقان: ٢/ ٥ -٦، وينظر: مناهل العرفان: ٥٣٠ -٥٣٤.

ثالثاً: الظاهر والباطن[٢٤]:

يرى السيد أن الظاهر ما يمنحه النص للعوام ولغيرهم أي للجميع ويجب الأخذ به، والباطن هي المعاني المتعدد التي يمكن أن يمنحها النص للأولياء والخواص، أو هي الأبعاد الموجودة في النص، أو هي مراتب التأويل التي علمها الله للراسخين في العلم؛ لأن التأويل والغيب علمه بالذات مختص بالله وعلم الرسولﷺ والأئمةعليهم السلام للتأويل بالعرض ويرى أن ((الظاهر ما يفهم من ظاهر الآيات الشريفة، والمراد من الباطن الإشارات والرموز التي يجمعها القرآن التي تحدث إلى يوم القيامة... يتشعع معارف بطونها))[٢٥]، أو الظاهر هو الحكم الصادق الجازم المحكم، وهو الأسلوب البديع الذي تهوي إليه الأفئدة وحكمه وجوب الأخذ به أي بالظاهر العرفي، والباطن هو الحقيقة والحق الكاشف عن غيره وهو مختص بالأولياء والراسخين في العلم إذ كلما تُأملوا فيه تجددت لهم معان أُخر غير المعاني الأُول لا تصل إليه عقول العوام؛ لأنها قاصرة عن الإحاطة بتأويلاته ومعانيه، والله جلت قدرته أراد أن يرشد ((الناس إلى وراء كل ظاهر باطن، فلا يكتفي بالجمود على الظاهر، بل لابد من التأمل في بطون الكلمات القرآنية؛ لأن في كل كلمة من كلمات القرآن بانفرادها دقيقة، كما أن في سائر جهاتها دقائق ولطائف))[٢٦] وهذه الحقائق لا تكون إلا لأهلها إن فهم هذه الحقائق يجعل من النص مفتوحاً قابلاً للمعاني المتعددة المستمدة من النص نفسه وذلك يتم بالتأمل والتدبر القرآني وأفضل من يدركون الباطن الأولياء الراسخون في العلم

(٢٤) ينظر في فهم الظاهر والباطن: مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ٥/ ٤٦، ٥٥ -٥٦، ٦١ -٦٣، ٧١ -٧٢، والتفسير والمفسرون(الذهبي): ٣/ ٦٨ -٧١، والشمس الساطعة: محمد حسين الطهراني: ٣١٨، ومحاورات التلميذ والعلامة: محمد حسين الطهراني: ١٨٨، وفهم القرآن دراسة على ضوء المدرسة السلوكية: جواد علي كسار: ٣٨٥، وتأويل القرآن النظرية المعطيات: كمال الحيدري: ١٦٧، وأصول التفسير والتأويل: كمال الحيدري ٤٤٥ -٤٤٦.

(٢٥) مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ٥/ ٦١.

(٢٦) المصدر نفسه: ١/ ٧٩.

لقدرتهم العالية على تأمله وتدبره وتلقيه: ((عن جابر قال: سئلت أبا جعفر عليه السلام عن شيء في تفسير القرآن فأجابني، ثم سألته ثانية فأجابني بجواب آخر فقلت: جعلت فداك كنت أجبت في هذه المسألة بجواب غير هذا قبل اليوم فقال عليه السلام لي: يا جابر إن للقرآن بطنا، وللبطن ظهرا، يا جابر وليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن، إن الآية لتكون أولها في شيء وآخرها في شيء وهو كلام متصل يتصرف على وجوه))[٢٧] فقد تكون البطون هي الوجوه أو الأوجه التي جاءت في رواية أخرى ((ما فسّره علي عليه السلام: ((إنّ القرآن حمّال ذو وجوه)) أي يحمل كلّ وجه إن طابق الموازين الشرعية والعقلية))[٢٨].

ويفهم من الظاهر والباطن عنده أن للقرآن ((حقيقة واحدة ذات مراتب متعددة تشكيكية فالظهر أي ما يفهم من الظاهر، فهو مرتبة منه، والبطن أي ما يستفيده الراسخ في العلم مرتبة منها، وكذا المطّلع أو المطلع...))[٢٩]، ولكن العوام يحجبون عن درك تلك الحقيقة الواحدة وتلك المراتب المتعددة، فبعضها ظاهر وبعضها غير ظاهر، فحمل القرآن على المراتب المتعددة والحقيقة الواحدة هي فكرة الظاهر والباطن لذا كانت معاني القرآن متجددة وكلها مصاديق متعددة والمعنى واحد ومن ذلك مثّل السيد السبزواري ومراتبها المتعددة المشككة فهي ((القيام بين يديّ الربّ بالعمل الخارجي، ومنها القيام بين يديّ الربّ بالجوهر الجسماني كما يكون في أولياء الله تعالى، ومنها بالصور الذهنية، ورابعة بما حصل للنبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله في ليلة المعراج بتعليم الله تعالى له مشافهة فيمكن حينئذ حمل البطون على مثل هذه المراتب، والمراتب التي لم يمكن أن تظهر لنا للحجب المانعة عن الوصول إلى تلك الحقائق))[٣٠].

(٢٧) تفسير العياشي: ١/ ١٢، وينظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ٥/ ٧٠.
(٢٨) مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ٥/ ٧٣، وتنظر الرواية في: بحار الأنوار: ٣٣/ ٣٧٦.
(٢٩) المصدر نفسه: ٥/ ٧١.
(٣٠) المصدر نفسه: ٥/ ٧٢.

وهنا نأخذ مثالا عمّا قال أنه تأويل أو باطن لأنه رادف بينهما وعدّ العالم بهما واحد وهم أولو العلم في تفسير(هذا ربي)﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ ﴾[سورة الأنعام: ٧٦] وفي تنزيه ساحة الأنبياء من الشرك فشبهة كيف يكون نبي ويقول عن الكوكب أو الشمس أو القمر هذا ربي؟ فردّ السيد مستندا إلى قول الراسخين بأنّه لم يكن هناك شرك فقوله: على سبيل المجاراة والتسليم أو حكاية على رأي الخصم لبناء الأثر الأهم عليه وهو إبطال حجتهم وإلزامهم بفساد عقيدتهم قال السيد السبزواري قول إبراهيمعليه السلام: ((بطلان الإلهية والأصنام والربوبية في الكواكب))[٣١] وقلنا إنّ السيد في جميع ذلك مستند إلى أقوال الأئمة لكي لا يكون تفسيره بالرأي فعن الرضاعليه السلام فبعد أن ينكر عليهم إبراهيم عبادتهم للزهرة والقمر يأتي على ذكر الشمس ((فرأى الزهرة فقال: «هذا ربي» على الإنكار والاستخبار «فلما أفل» الكوكب «قال لا أحب الآفلين» لأنّ الأفول من صفات الحدث لا من صفات القدم «فلما رأى القمر بازغا «قال هذا ربي» على الإنكار والاستخبار... «فلما» أصبح و «رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر» من الزهرة والقمر على الإنكار والاستخبار لا على الإخبار والإقرار «فلما أفلت» قال للأصناف الثلاثة من عبدة الزهرة والقمر و الشمس: «يا قوم إني بريئ مما تشركون * إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين» وإنما أراد إبراهيم بما قال أن يبين لهم بطلان دينهم، ويثبت عندهم أن العبادة لا تحق لما كان بصفة الزهرة والقمر والشمس، وإنما تحق العبادة لخالقها وخالق السماوات والأرض، وكان ما احتج به على قومه بما ألهمه الله عز وجل وآتاه، كما قال عز وجل: «وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه»))[٣٢]، والسيد كذلك يستند إلى قرينة لغوية تعزز ما يذهب إليه بأنّ إبراهيم لم يكن يقصد هذه الإلهة بقوله

(٣١) المصدر نفسه: ١٤/ ٧٩.

(٣٢) بحار الأنوار: ١١/ ٧٩.

هذا ربي لأنّ بعض الإلهة كانت مؤنثة وقوله هذا ربي مذكر أمّا استعماله له أي ضمير المذكر للمؤنث(الشمس أو الزهرة) فهو على أساس التأويل ويقول هذا الأمر حتى يستعمل على الواقع والحقيقة يحتاج إلى قرينة ودليل يدل عليه ويقول السيد الإشارة إلى الشمس بالتذكير ليس لها وإنما كونها ربا فيكون الخطاب بالإشارة للمذكر هو السبب الأبرز وهو طبق القاعدة ((في مقام إثبات الموضوع الذي أراد ثباته وهو نفي الربوبة أشار بالمذكر فقال (هذا ربي) ويرشد إليه قوله الأتي (هذا أكبر)))[٣٣].

وفي مثال آخر على الباطن والتأويل: استعمال مجموعة من الاصطلاحات على غير دلالتها اللغوية الظاهرية نحو: النور هو: الإمام ومن كان له نور يعرف الإمام، الظلام: الكفر، والظالم هو الذي لا يعرف الإمام، الحيّ هو المؤمن وهو من أدركته الهداية الإلهية وسار على الهدى، الميت هو: الكافر الذي أقام على الضلال والغوية المحروم الواقع في ظلمات الجهل وهذه الاستعمالات كلها مستندة إلى الراسخين وإن كانت استعارات لطيفة ألفت عند أهلها وعند المتعمق في اللغة فالحياة بالإيمان والدخول بالهدى الإلهي هي الحياة المعنوية ويكون السير في هذا الطريق بالنور الإلهي أي الإمام ويكون هذا النور المساعد في السير إلى الله في مسالك الدنيا إلى الآخرة ويستمر النور بعد الدنيا والانتقال إلى العالم الجديد أي بعد الموت الجسدي المادي والعكس من ذلك الضلال الذي هو عبارة عن موت الشعور والحس وهو الموت الحقيقي وهو الظلمات المتراكمة في الجهل والضلال فجاء عنهم عليهم السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[سورة الأنعام: ١٢٢] ((("أو من كان ميتا" قيل: أي كافرا " فأحييناه " بأن هديناه إلى الإيمان وإنما سمي الكافر ميتا، لأنه لا ينتفع بحياته، ولا ينفع غيره بحياته، فهو أسوء حالا من الميت، وسمي المؤمن حيا، لأنه له ولغيره المصلحة والمنفعة. وقيل: نطفة فأحييناه "وجعلنا له نورا يمشي به في الناس"

(٣٣) مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ١٤/ ٤٠.

قيل: المراد بالنور العلم والحكمة لان العلم يهتدي به إلى الرشاد، كما يهتدي بالنور في الطرقات أو القرآن والإيمان "كمن مثله" مثل من هو "في الظلمات" أي في ظلمة الكفر. وسمي القرآن والإيمان والعلم نورا لان الناس يبصرون بذلك، ويهتدون به من ظلمات الكفر وحيرة الضلالة، كما يهتدي بسائر الأنوار، وسمي الكفر ظلمة، لان الكافر لا يهتدي بهداه، ولا يبصر أمر رشده، كما سمي أعمى "كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون" قال الحسن: زينه والله لهم الشيطان وأنفسهم... عن الباقر عليه السلام: "ميتا" لا يعرف شيئا "ونورا يمشي به في الناس" إماما يأتم به "كمن مثله في الظلمات" الذي لا يعرف الإمام))[٣٤] يقول السيد السبزواري وكل هذه الاستعمالات على الحقيقة ((إن إطلاق النور على من يكون مثالا حقيقياً للهدى الإلهي حقيقي، وإنّ الإمام المعصوم عليه السلام يتّصف بهذا النور الإلهي؛ لأنّه القدوة في جميع الكمالات، ومثال الهداية الإلهيّة... كما إنّ إطلاق الحيّ على المؤمنين يكون إطلاقا حقيقيا))[٣٥].

رابعاً: أسباب النزول:

لم يتعرض السبزواري لسبب النزول وكان يذكر العلة في ذلك؛ ((لأن الآيات المباركة كليات تنطبق على مصادقيها في جميع الأزمنة فلا وجه لتخصيصها بزمان النزول أو بفرد دون فرد آخر))[٣٦]؛ لأن التقييد بسبب النزول يؤدي إلى الجمود والتحجر على النص ويدل ذلك على أن النص نزل بمعنى خاص محدد في حين أن القرآن معجزة مستمرة بلفظه ومعناه، ويجب إن تكون العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب؛ لأن سبب النزول يقوم بدور الإشارة لا التخصيص فالبيان القرآني كان مضمونه عاماً شاملاً، فآية اللعن تشرع حكماً شرعياً عاماً لكل زوج يتهم زوجته بالخيانة، وكذا القذف للمحصنات وإن نزلت في شأنٍ خاص، ومثلها

(٣٤) بحار الأنوار: ٦٤/ ٣٠.
(٣٥) مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ١٤/ ٣٧٥، وينظر نفسه: ١٤/ ٣٤٨، ٣٥٠، ٣٧٥، ١/ ٧٠.
(٣٦) المصدر نفسه: ١/ ٥ وينظر في الموضوع مع أمثلة: نفسه: ١/ ٥١٦، ١٤/ ٢٥٥ -٢٥٧.

آية الظهار كذلك[٣٧]، ((وعلى هذا أساس اتفق علماء الأصول على أن المتبع هو مدى عموم النص القرآني وشمول اللفظ فيه، وإن سبب النزول مجرد سبب مثير لنزول الحكم))[٣٨]، وفي شمول القرآن وعدم التقيد بسبب النزول عبر عنه السيد الطباطبائي بالجري والانطباق[٣٩] وهو ما أشار إليه السيد السبزواري ونحو قوله: ((الرواية من باب التطبيق، إذ لا خصوصية للمورد... وكل من يكون كذلك تشمله الآية...، الرواية من باب التطبيق، وقد يكون للنزول مناشئ متعددة))[٤٠]، وقد جاءت روايات أهل البيت تعزز هذا المعنى وتؤيده عن الباقر عليه السلام: ((إن القرآن حي لا يموت، والآية حية لا تموت، فلو كانت الآية إذا نزلت في الأقوام وماتوا ماتت الآية لمات القرآن، ولكن هي جاريةٌ في الباقين كما جرت في الماضين))[٤١]، ولكن السيد السبزواري على الرغم من ذلك نقل بعض أسباب النزول وعلق عليها نحو ما نقله عن الواحدي في تفسير قوله تعالى: ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾[سورة البقرة: ١٠٦] ((إن المشركين قالوا: ألا ترون إلى محمد يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمر بخلافه، ويقول اليوم ويرجع عنه غداً، أما هذا كلام القرآن ألا كلام محمد، يقوله من تلقاء نفسه، وهو كلام يناقض بعضه البعض، فأنزل الله تعالى هذه الآية، ونزل أيضاً: ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ﴾[سورة النحل: ١٠١]))[٤٢]، ثم علق السيد على السبب بقوله: ((إن ما قاله المشركون نشأ من عدم فهمهم للقواعد العرفية الدائرة بينهم))[٤٣]، وكذلك نقل

(٣٧) ينظر: الإتقان: ١/ ٩٧ -٩٨، والمدرسة القرآنية: محمد باقر الصدر: ٢٣٢.
(٣٨) المدرسة القرآنية: ٢٣٢.
(٣٩) ينظر: القرآن في الإسلام -السيد محمد حسين الطباطبائي: ٥٤ -٥٥.
(٤٠) مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ٨/ ٣٨٩، وينظر: نفسه: ٨/ ٤٠٤، ٤٠٧، ٤١٨.
(٤١) بحار الأنوار: ٣٥/ ٤٠٣ - ٤٠٤، ومستدرك سفينة البحار: ٨/ ٤٤٨، والمدرسة القرآنية: ٢٣٣.
(٤٢) مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ١/ ٥٢٦، وأسباب النزول - الواحدي: ٢١.
(٤٣) مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ١/ ٥٢٦، وينظر في نقله لسبب نزول ومناقشته إياه المصدر

عن الدر المنثور عن قتادة في تفسير الآية نفسها قوله: ((كانت الآية تنسخ الآية، وكان نبي الله يقرأ الآية والسورة وما يشاء الله من السورة ثم ترفع فينسيها الله نبيه، فقال الله تعالى يقص على نبيه ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ ﴾... فيها رخصة، فيها أمر، فيها نهي))[٤٤]، ثم علق السيد على السبب بقوله: ((هذه الرواية لا تناسب مقام النبوة وحفظه لما يوفى إليه))[٤٥].

ونقل عن الواحدي عن ابن عباس في تفسير الآية: ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ ﴾ [سورة البقرة: ١٠٨] ((نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي أمية ورهط من قريش، قالوا: يا محمدﷺ اجعل لنا الصفا ذهباً، ووسع لنا أرض مكة، وفجر الأنهار خلالها تفجيراً نؤمن بك، فأنزل الله تعالى هذه الآية))[٤٦]، ثم علق السيد على السبب بقوله: هذه الرواية تعززها رواية أخرى وهي عن الرسولﷺ: ((بأن ما وقع في بني إسرائيل يقع في هذه الأمة أيضاً))[٤٧].

خامسا: المكي والمدني:

فهم السيد مصطلح المكي والمدني وطبقه على الآيات القرآنية إذ كانت عند علماء التفسير مجموعة من الخصائص لكل منهما[٤٨]، فالمكي له خصائص أسلوبية وموضوعية هي:

١. قصر الآيات والسور وإيجازها وتجانسها الصوتي.
٢. الدعوة إلى أصول الإيمان بالله والوحي وعالم الغيب واليوم الآخر وتصوير الجنة والنار.

نفسه: ٨/ ٣٦٩ -٣٦٨، ٣٧١ -٣٧٥، ١٢/ ٨ -٩، ٢٦ -٣٢، ١٤/ ٢٥٥.

(٤٤) المصدر نفسه: ١/ ٥٢٦، والدر المنثور -السيوطي: ١/ ١٩٨.

(٤٥) مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ١/ ٥٢٦.

(٤٦) المصدر نفسه: ١/ ٥٢٧، وأسباب النزول -الواحدي: ٢١.

(٤٧) مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ١/ ٥٢٧، وبحار الأنوار: ٩/ ٢٤٩، ٦٨/ ٦٥.

(٤٨) علوم القرآن: محمد باقر الحكيم: ٧٧ -٧٨، وينظر: الإتقان: ١/ ٥٦ -٥٧.

٣. الدعوة للتمسك بالأخلاق الكريمة والاستقامة على الخير.

٤. مجادلة المشركين وتسفيه أحلامهم.

٥. استعمال السورة لكلمة (يا أيها الناس) وعدم استعمالها لكلمة (يا أيها الذين آمنوا).

أما الخصائص الأسلوبية والموضوعية للمدني فهي:

١. طول السورة والآية وإطنابها.

٢. تفصيل البراهين والأدلة على الحقائق الدينية.

٣. مجادلة أهل الكتاب ودعوتهم إلى عدم الغلو في دينهم.

٤. التحدث عن المنافقين ومشاكلهم.

٥. التفصيل لإحكام الحدود والفرائض والحقوق والقوانين السياسية والاجتماعية والدولية.

قال السيد السبزواري في تفسير قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [سورة البقرة: ١٠٤] ((ذكر هذا الخطاب في القرآن الكريم فيما يزيد على ثمانين آية نزلت جميعها في المدينة))[٤٩]، وقال في مكان آخر: ((قد ورد ذكر هذا الخطاب في القرآن الكريم في ما يقرب من تسعين مورداً، وفيه من الحبب والملاطفة مع عبيده ما لا يخفى والمنساق من سياق تلبس المخاطب بالإيمان في الجملة، هو يقتضي أن يكون الخطاب مدنياً لا مكياً وتقدم ما يتعلق به في الآية ١٠٤ من هذه السورة))[٥٠]، علمًا أنه أشار في بداية السورة إلى كونها مدنية[٥١]، وجاء في بيان كون سورة النساء مدنية قوله: ((وأسلوب هذه السورة ومضامينها تشهدان على أنها مدنية نزلت نجوما حسب مقتضيات الظروف والحاجة))[٥٢]، وفي سورة المائدة قال السبزواري: ((هذه السورة المباركة نزلت في حجة الوداع فيما بين مكة والمدينة وهوﷺ على ناقته، فبركت من

(٤٩) مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ١/ ٥٠٧.
(٥٠) المصدر نفسه: ٢/ ٢١١، وينظر: نفسه: ٣/ ٣.
(٥١) ينظر: المصدر نفسه: ١/ ٧٥.
(٥٢) المصدر نفسه: ٧/ ٢٢٦.

ثقلها... وعن بعض المفسرين أنها مدنية إلا ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى ﴾ فإنها نزلت بعرفة عام حجة الوداع))[٥٣]، وفي بيان كون سورة الأنعام مدنية قال في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [سورة الأنعام: ٣٤]: ((والآية تدل على أن سورة الأنعام قد نزلت بعد جملةٍ من السور التي تحكي قصص الأنبياء، وما كابدوه من أقوامهم أمثال سورة الشعراء، ومريم، والعلق، والمدثر، وغيرها من السور النازلة بمكة قبل الهجرة))[٥٤].

ردّ تفسير بعض الآيات استنادا على فكرة المكي والمدني نحو آية المتعة (الزواج المنقطع) ﴿ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾[سورة النساء: ٢٤] وقد قيل إنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴾ [سورة المؤمنون: ٥ -٧] فقال السيد السبزواري: ((إن آية المتعة متأخرة عن آية المؤمنون في النزول، فإنّ الأولى مدنية والأخيرة مكية، ولا يصلح أن تكون المكية تنسخ المدنيّة))[٥٥].

سادساً: الناسخ والمنسوخ[٥٦]:

معرفة الناسخ والمنسوخ ضرورة أساسية في علم التفسير يقرها العقل والنقل والتدرج المعرفي؛ لأنَّ الإنسان بطبيعته إذا اعتاد أمراً فمن الصعب عليه تغيره أو التحول عنه إلى أمر آخر وبشكل دفعي، فجاءت الأوامر الإلهية منسجمة مع هذه السجية البشرية من الإصلاح والتغيير والنسخ في حقيقته تغيير لأمر ظاهري لا واقعي إذ الواقع الإلهي ثابت أزلا وبقاء ولكن المصلحة اقتضت إنزال التشريع الابتدائي عن مصلحة وعلم والمشرع عالم بأنّ هناك حكم آخر دائم سيصدر في وقته المناسب؛

(٥٣) المصدر نفسه: ١٠/ ٢٧٩.
(٥٤) المصدر نفسه: ١٣/ ٢٣١.
(٥٥) المصدر نفسه: ٨/ ٣٧.
(٥٦) المصدر نفسه: ١/ ٥١٥، وينظر: لسان العرب: مادة: (نسخ): ٣/ ٦١.

لأنّ التشريع في حقيقته يجب أن يكون ظاهراً ومستمراً، وكلا الحكمين فيهما مصلحة وهذا هو مفهوم النسخ لا نشأة رأي جديد بعد رأي سابق إذ هذا الأمر مستحيل على الله، ومعرفة الناسخ والمنسوخ أمر ضروري لأنّ جهله يؤدي إلى هلاك المفسر وإهلاك المتلقي على حد روايات أهل البيت عليهم السلام[٥٧]: ((قال أمير المؤمنين عليه السلام لقاض: هل تعرف الناسخ من المنسوخ؟. قال: لا. قال: فهل اشرقت على مراد الله عز وجل في أمثال القرآن؟. قال: لا. قال: إذا هلكت وأهلكت))[٥٨].

والسيد السبزواري أول ما أشار إلى المعاني اللغوية: إذ المعنى الجامع فيها هو الإزالة شيئاً بشيء يتعقبه نحو نسخ الشمس للظل أو نسخ الظل للشمس، والمعاني اللغوية هي:

١. النقل وقد يكون بالكتابة كما في نسخت الكتاب أي نقلته وضبطته نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[سورة الجاثية: ٢٩].

٢. مجرد الإزالة والإبطال إذا لوحظ المنسوخ فقط، وقد رده السيد لما في الآية من قرينة صارفه عن هذا المعنى حصراً في قوله تعالى: ﴿فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[سورة الحج: ٥٢] ((أي يزيل ما ألقاه الشيطان وهو الباطل ويثبت الحق))[٥٩].

٣. الإثبات إذا لوحظ الناسخ فقط.

٤. التبدل أي الإزالة والإثبات إذا لوحظ الناسخ والمنسوخ ((أي تبديل ما كان ثابتاً من الحكم الشرعي بدليل معتبر على خلافه... ومن ذلك يعلم أنّ تخصيص العموميات، وتقيد المطلقات والقرائن العامة أو الخاصة على خلاف الظاهر ليس

(٥٧) ينظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ١/ ٥٢٨ -٥٣٣، وتلخيص التمهيد: ١/ ٣٧١-٣٧٧.

(٥٨) بحار الأنوار ٢/ ١٢١، وينظر: الإتقان: ٢/ ٥٥، وتلخيص التمهيد: ١/ ٣٧١ -٣٧٤.

(٥٩) مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ١/ ٥١٥.

من النسخ في شيء لا موضوعاً ولا حكماً))[٦٠].

أما النسخ اصطلاحاً ((بيان انتهاء أمد الحكم الثابت سابقاً))[٦١] أي كان يُعتقَد أنّه ثابت لولا مجيء الحكم الجديد فالنسخ ظهور الحكم بعد خفاء على الناس.

ولا حد للناسخ، ولا حد للمنسوخ عنده تعالى وأن كان النسخ أساساً في التشريعات ((والنسخ قد يتعلق بتمام الآية أو الحكم كله، وأخرى ببعض الجهات دون بعض))[٦٢]، ولا بد من الإشارة إلى أنّ الرفع الجزئي للحكم أو الرفع الاضطراري له لمصلحة معينة مؤقتة نحو أكل لحم الميتة هذه الأمور ليست من النسخ ومما جاء في الروايات أن الناسخ محكم والمتشابه منسوخ: ((عن محمد بن سالم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن أناسا تكلموا في هذا القرآن بغير علم وذلك أن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾ [سورة آل عمران: ٧] الآية فالمنسوخات من المتشابهات؛ والمحكمات من الناسخات))[٦٣]، وهو من باب ذكر المصاديق وفي مورد آخر ذكر: الناسخ الثابت أي الثابت الحكم والحجية في العمل، والمنسوخ الذي مضى أمده أي مضى العمل به وانتفت الحجية عنه.

وللنسخ شروط وحدود فليس كل ما قيل فيه نسخ وقع النسخ فيه إذ النسخ يقع في الأحكام الشرعية وبدليل شرعي قرانا وسنة قطعيتا، ويكون دليل الناسخ ناظر إلى الحكم المنسوخ ويجب تقدم المنسوخ على الناسخ في الزمن، مثلا آية المتعة المارة الذكر قال السيد السبزواري فيها: ((إن آية المتعة متأخرة عن آية المؤمنون في النزول، فإنّ الأولى مدنية والأخيرة مكية، ولا يصلح أن تكون المكية تنسخ المدنيّة))[٦٤]،

(٦٠) المصدر نفسه: ١/ ٥١٥.

(٦١) المصدر نفسه: ١/ ٥٢٧، وينظر كتب علوم القرآن: تلخيص التمهيد: ١/ ٣٧٥.

(٦٢) مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ١/ ٥٢٤، وينظر: تلخيص التمهيد: ١/ ٣٧٥.

(٦٣) الكافي: الكليني: ٢/ ٢٨، وينظر الرواية ومعنى النسخ: مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ٥/ ٥٣ - ٥٤.

(٦٤) المصدر نفسه: ٨/ ٣٧.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾[سورة البقرة: ٨٣] قيل إنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [سورة التوبة: ٢٩] فقال السيد: ((فليست الآية منسوخة، و إلا لَعَمَّ النسخ كلّ تقيد لمطلق، أو خاص لعام))(٦٥)، ومن أقسام النسخ(٦٦) تغيير القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام وهنا في هذا النسخ ليس هناك تعب ولا نصب على المكلف قال تعالى: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾[سورة البقرة: ١٤٤] ومن النسخ ما يكون الناسخ أيسر من المنسوخ نحو ما نسخ من حرمة الجماع والأكل والشرب في ليلة الصيام إذ جاء الحكم ميسرا بالجواز قال تعالى ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ﴾[سورة البقرة: ١٨٧] ومن النسخ ما كان الناسخ أشد من المنسوخ كما في حد الزنا الذي كان السجن ثم تحول للجلد والرجم حد الموت ﴿ وَٱلَّـٰتِي يَأْتِينَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴾ [سورة النساء: ١٥] ونسخت بقوله تعالى وهي متأخرة بالنزول عنها: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ﴾[سورة النور: ٢]، أما أنواع النسخ(٦٧) أي النسخ الموجود في القرآن وهو واقع فعلا فهو نسخ الحكم فقط وغيره لا صحة له وهو نسخ التلاوة وكذلك نسخ الحكم والتلاوة ومن نسخ الحكم وجوب تقديم الصدقة على مناجاة الرسول ﷺ قال تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [سورة المجادلة: ١٢].

ومما أشار إليه السيد أن البداء نوع من النسخ؛ لأنه من التحول والتغير، أو الإطلاق فيهما استناداً للمعنى اللغوي ويرى أن هذه الفكرة لا إشكال فيها والنسخ

(٦٥) مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ١/ ٤٣٥ -٤٣٦، ينظر شروط النسخ نفسه ١/ ٥٣٣.
(٦٦) ينظر المصدر نفسه: ١/ ٥٣٧ -٥٣٨، وينظر في نسخ حد الزنا نفسه: ٧/ ٣٦٣، ٣٧٤ -٣٧٥.
(٦٧) ينظر أنواع النسخ المصدر نفسه: ١/ ٥٣٨ -٥٣٩.

في التشريع والبداء في التكوين ((لكن المنساق من مجموع الروايات الواصلة إلينا، أن مورد النسخ التشريعات، والبداء مورد التكوينيات، وهنا الاختلاف بحسب المتعلق لا بحسب الذات))[٦٨].

سابعاً: مناسبة الآيات:

وهو وجود معنى رابط بين الآيات إذ ((المناسبة في اللغة المشاكلة والمقاربة ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينها عام، أو خاص عقلي، أو حسي، أو خيالي، أو غير ذلك من أنواع العلاقات، أو التلازم الذهني كالسبب والمسبب، والعلة والمعلول، والنظيرين، والضدين ونحوه))[٦٩] وهو علم شريف؛ لأن أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط، فيكون ((ارتباط أي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني))[٧٠]، كان السيد السبزواري يقدم في كل سورة ما حوته من معانٍ عامة وكذلك يقدم لكل مقطع قرآني ما حواه من المعانٍ، فقد تكلم السيد في مناسبة الآيات على أساس دلالتها ومقاصدها الكلية وكان يفتتح كل سوره بملخص لما حوته من معاني، وكذلك كل مقطع، على الرغم من قوله: ((لم أتعرض لبيان النظم بين الآيات، وذلك؛ لأنّ الجامع القريب في جميعها موجود، وهو تكميل النفس أو الهداية، ومع وجوده لا وجه لذكر النظم بين الآيات؛ لأنّ الغرض القريب بنفسه هو الجامع والرابط بين الآيات))[٧١]، فمثلاً استعراض ما جاء في سورة آل عمران ومناسبة الآيات فيها الدعوة إلى عبادة الله الجامع لصفات الجمال والكمال، والمثبت لنفسه مهام الصفات العليا وما يستلزم في تدبير ملكه، وفيها الدعوة إلى توحيد الصفوف، ووحدة الكلمة والابتعاد عن

(٦٨) مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ١/ ٥٢٤، وينظر المعنى اللغوي: لسان العرب: مادة: (نسخ): ٣/ ٦١.

(٦٩) الإتقان: ٢/ ٢٨٩، وينظر في اللغة: لسان العرب: مادة (شكل): ١١/ ٣٥٦.

(٧٠) الإتقان: ٢/ ٢٨٨.

(٧١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ١/ ٥.

الاختلاف والتفرقة، ومواجهة المخاطر والصبر عليها، مع إنبائهم بمكر الأعداء وتجمعيهم لإطفاء نور الله تعالى بكل ما أمكنهم، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون، وفيها بيان لأصول المعارف الإلهية، مع ما فيها من الاشتراك في الأديان السماوية، مع تعليم كيفية الحجاج والمحاجة مع أهل الكتاب، وما جرى في مباهلة وفد نجران، وفيها كيفية الخلق، وخلق عيسى عليه السلام الذي شابه خلق آدم عليه السلام مع إنكارها الكثير من أفعال اليهود وعقائدهم والرد على مزاعمهم في أنبياء الله تعالى، وذكر فيها كيفية السعادة في الدنيا والآخرة، مع كيفية رد الشبهات على المعاندين، وتلبيس الكافرين، وأنهى الله سبحانه وتعالى السورة بالدعاء، وبين السيد السبزواري أنها نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله بدلالة وحدة الأسلوب والغرض[٧٢]، فقد ابتدأت بالتوحيد، وجمعت فيها المبدأ والمعاد، والنبوة، ومراتب تكامل النفس وسيرها إليه تعالى، وفي كل ذلك فيه دلالة واضحة على عظمته سبحانه إذ هو الحكيم الحنان المنان ذو الجلال والكرام، وقد تضمنت الآيات الست الأولى براعة الاستهلال، وخلاصة ما في السورة من معارف ((فقد أثبت سبحانه وتعالى مهام صفاته العليا وأورد عز وجل ذكر الكتب الإلهية، وحذر الكافرين عن أفعالهم وأوعدهم بالعذاب الشديد، ثم ذكر ما هو بمنزلة العلة لما ورد في المقدمة وأرشد المؤمنين إلى تذكر آلاء الله تعالى وصفاته العليا التي بها يدوم العالم وينتظم نظام الخلق، فهذه الآيات اشتملت على أصول المعارف الإلهية، أما التوحيد فقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾[سورة آل عمران: ٢]، وأما النبوة فقوله تعالى: ﴿ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ [سورة آل عمران: ٣] وأما المعاد ببقية الآيات المباركة))[٧٣]، وجاء التلخيص لما في سورة المائدة بذكره القضية الرئيسة في القرآن العظيم ((وهي قضية «لا إله إلا الله» وإثبات رسالة خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله، والدعوة إلى الإيمان الصحيح، فكان القسم الأعظم من في

(٧٢) ينظر: المصدر نفسه: ٥/ ٣ -٤.

(٧٣) المصدر نفسه: ٥/ ٤ -٥.

محاجة اليهود والنصارى مع ذكر المنافقين والمشركين))[٧٤].

ثامناً: الإعجاز القرآني:

المعجزة هي الأمر الخارق للعادة مع وجود شرط التحدي أي الدعوة إلى المبارزة والمنازعة، لإثبات دعوى رسالة الأنبياءﷺ بطريقة تقنع المدعوين إلى الإيمان، والكرامة: هي الأمر الخارق للعادة مع وجود شرط التحدي فقد تَصدرُ عن عبد غير معروف في فلاة من الأرض كالخضرﷺ ((فحقيقة الإعجاز: قدرة النفس الإنسانية على إيجاد ما يخرق به الطبيعة والعادة، والتصرف في هذا العالم، بما هو خارج عنه، كل ذلك بأقدار من الله تعالى عليه لمصالح متعددة تقتضيها الظروف))[٧٥]، والإعجاز ليس من باب الصرفة كما ذهب إليه قوم[٧٦]، وإنما هو من باب إتمام الحجة وحسب إذ هم لا مجال العباد أمام الخالق والمعجز والمتحدي الحقيقي؛ لأنهم مقهورون له، فهو القاهر فوق عباده وجميع المعجزات المتحدي فيها الله جلت قدرته أو النبي بعد إذن الإله لإتمام الحجة على المعاندين ((فالتحديات القرآنية إنما وقعت لإتمام الحجة على المعاندين، لا أن تكون تحدياً حقيقياً واقعياً))[٧٧]؛ ولكنها سارت على ما جرى عليه الناس في مخاصماتهم ومحاوراتهم العرفية، ومنها ما كان في الجاهلية في تحدي بعضهم بعضاً في جانب الفصاحة والبلاغة وما كان يعقد في مكة والحواضر العربية لتحدي بعضهم بعضاً وتعليقهم جيد أشعارهم على الكعبة من باب إبراز الفضل فيها واشتهرت بالمعلقات لروعتها عندهم وما يفتخرون به فجاء القرآن وألزمهم بما ألزموا به أنفسهم وتحدهم بما تمكنوا منه والنداء كان بجميع الناس إما للإتيان بمثله، أو الاعتراف بعجزهم وقصورهم، وبذلك يثبت أصل الدعوة وأحقيتها وإلا لا مجال لتحديهم لاختلاف السنخية كما يشار إليه وهي ليس من باب صرفهم

(٧٤) المصدر نفسه: ١٠/ ٢٧٩ - ٢٨٠.
(٧٥) المصدر نفسه: ١/ ١٦٢، وينظر: نفسه: ١٠/ ١٧٨.
(٧٦) ينظر: المصدر نفسه: ١/ ١٦٠ -١٦٣.
(٧٧) المصدر نفسه: ١/ ٩.

وإعجازهم (الصرفة)[٧٨]، فهو مردود على رأي السيد السبزواري، فالتحدي كان حقيقة وهو ما كان شائعاً عندهم من التحديات، أما في هذه الآية ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[سورة البقرة: ٢٣] فالمتحدي هو النبي أو القرآن الكريم إذ لا سنخية أي لا مشابهة بين المتحدي الله جلت قدرته والمتحدى عامة الخلق، ويرى السيد لا داعي للتطويل في المتحدي الحقيقي أي الله، فهو يصبح جوهرة نفسية لا تقاس بالناس وأسباب التحدي لإتمام الحجة، وبيان لطف الله وعنايته، ولكي يتضح لهم ضعفهم وعجزهم فيرجعون إليه وقد يكون توبيخاً لهم وإتماماً للحجة عليهم[٧٩].

ويرى السيد أيضاً أن القرآن كله ((معجز من جميع جهاته بأسلوبه، وكلماته، وفصاحته، وبلاغته، وبأحكامه، وآدابه، وبقصصه، وإرشاداته، وأصوله، وفروعه، وبحقائقه، وواقعياته، وغير ذلك مما لا يبلغ حد الإحصاء...))[٨٠] وجاء في نص آخر قوله: ((وجوه إعجاز القرآن كثيرة ومتعددة، بل هو من جميع الجهات... ومن كل جهة يشمل المتحدي به على الدعوة من تلك الجهة وإلا لما تمت الحجة... فهو معجزة للفصيح البليغ في فصاحته، وللعالم في علمه، وللفلسفي في فلسفته إلى غير ذلك))[٨١]، وحقيقة الإعجاز انه خاضع للأسباب الطبيعية وأن كان غيبيا إلهيا فهو تابع لإرادته المطلقة وقيومته التامة وهذا اللطف والإرادة مخصوص في أفراد معينين ومؤهلين لهم استعدادهم الخاص بهم، فشملتهم العناية الخاصة ((إقامة على الجميع، وارتباطاً لعالم الشهادة بعالم الغيب... لأن إبراز المعجزة وخارق العادة على أيديهم له دخل في نظام التكوين، كما أن التشريع كذلك، بل

(٧٨) ينظر في القول في الصرفة وردها: الموضح عن جهة إعجاز القرآن وهو الكتاب المعروف بـ (الصرفة): الشريف الرضي، ومناهل العرفان: ٢/ ٦٣٥.
(٧٩) ينظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ١/ ١٥٤ -١٥٨، ١٦٣.
(٨٠) المصدر نفسه: ٩/ ٨٥ -٨٦، وينظر: نفسه: ٩/ ٩٧، ١/ ١٦٣ -١٦٤.
(٨١) المصدر نفسه: ١/ ١٦٣ -١٦٤.

هو غاية نظام التكوين))[٨٢].

من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم عند السيد السبزواري[٨٣].

وقد أشار السيد إلى جملة منها عبر عنها بالمهم وهي:

١. حياة القرآن[٨٤]: إن القرآن حي وباقٍ على مر الزمان لما فيه من الكمالات المعنوية والحياة الحقيقة الواقعية، فحياته من واقعيته ومن فهم هذه الجمل استطاع أن يستمد من الحياة لنفسه آخذا من كمالاته التي تهيئه للعيش في الحياة الواقعية المستمدة من عالم الأزل إلى الأبد، فهو كمال من الكمال المطلق ومن جعله منهجه وسار فيه على طريقته ألهم الكمال الذي به الحياة الأبدية ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[سورة النحل: ٩٧] إذ إن القرآن الكريم روح من الله بذاته وهذه الروح حتما تمد الحياة لا محالة وهي من عالم الأمر الذي يمد الوجود بما يحتاج من حياة قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾[سورة الشورى: ٥٢].

٢. المعارف الإلهية[٨٥]: فالقرآن معجزة في المعارف الإلهية فهو المشير إلى أعقد المسائل الربوبية والعقائدية بأبسط الأساليب سواء أكانت فلسفية، أم وجدانية، فضرب لهم أمثلة وجدانية لم يستطيعوا ردها، وهذا بحد ذاته معجزة ومع كون هذه الأمثلة (الآيات) وجدانية هي فلسفية في نفسها، فمثلاً التوحيد الأفعالي من الأمور المعقد الإثبات في الجانب الفلسفي، ولكنها جاءت بأسلوب سهل في القرآن الكريم نحو قوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾[سورة فصلت: ٥٣] وقوله:

(٨٢) المصدر نفسه: ١/ ١٦١ -١٦٢.
(٨٣) ينظر: المصدر نفسه: ١/ ١٦٤ -١٧٣.
(٨٤) ينظر: المصدر نفسه: ١/ ١٦٤ -١٦٦.
(٨٥) ينظر: المصدر نفسه: ١/ ١٦٦ -١٦٧.

﴿ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾[سورة إبراهيم: ١٠]، فقد جاء الدليل على وجود الله ما في أنفسهم من حقائق وما حولهم من موجودات تثبت وجود صانعها ومكونها ومع كونه دليلا وجدانيا؛ لأنه موجود في أنفسهم وحولهم إلا أنه دليل استنتاج العلة من المعلول، والجاعل من المجعول وهو ما عبر عنه في الفلاسفة (بالبرهان اللمي) فهو معجزة في إثبات التوحيد الأفعالي، وكذلك هو معجزة في التوحيد الذاتي وهو من أهم مقاصد الفلاسفة وما جاء في القرآن كان أيسر وأوضح نحو قوله: ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[سورة الأنبياء: ٢٢] ﴿ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ﴾ [سورة الحج: ٣١]، وفي توحيد الصفات كان السبق الأكبر للقرآن العظيم فيه نحو قوله تعالى: ﴿ قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [سورة الرعد: ٣٠] وقد ثبت أن الذات الإلهية جامعة ((لجميع صفات الكمال، فنفي ألوهية عما سواه إثبات لحصر جميع صفات الكمال بالنسبة إليه))[٨٦]، وكذلك من المعارف الصعبة الإثبات مسألة المعاد، وذكر الأمم وما جرى فيها من معجزات ونبوءات سماوية وقصص واقعية وغيرها من المعارف.

٣. إعجاز القرآن في تشريع الأحكام: فقد شرعت الأحكام المدنية النظامية الفردية والاجتماعية، وهي من الأمور المتغيرة في نظر الإنسان وعلى الرغم من ذلك وضعت في قوانين ثابتة ولا تتغير على الرغم من تغير الزمن، وهنا يكمن التحدي والإعجاز فقد عولجت أمور لم تكن أفهام البشر تصل إليها في ذلك الوقت، وقد وفت حاجات الإنسان ومتطلباته على مر الأزمان وفي مختلف جوانب الحياة مع عدم تغيرها وتبدلها على الرغم من تغيير حاجات الإنسان باختلاف الإعصار والأمصار، والسر في ذلك أن القرآن العظيم المعجز عالج الأمور الكلية وأصل القوانين، وهذه الأمور لا تغيير فيها لا تبدل ((كوجوب عبادة الله تعالى، وحرمة

(٨٦) المصدر نفسه: ١/ ١٦٧.

أكل مال الغير، ووجوب رد الأمانة، وحرمة الخيانة... ولكن الجزئيات قد تختلف حسب اختلاف الحالات والخوصيات، وهي مما لابد من جعل القوانين... المسلمة كحسن الإحسان وقبح الظلم ونظائر ذلك مما لا يتغير ولا يتبدل))[٨٧].

٤. إعجاز القرآن في العلوم[٨٨]: اشتمل على العلوم المختلفة والكثيرة التي تساعد الإنسان على الكمال المادي أو الكمال المعنوي سواء أكان فرداً أم جماعة ففي القرآن كل ما يحتاجه الإنسان: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[سورة النحل: ٨٩] ((فهو يحتوي من المعارف أجلاها وأرقاها ومن العلوم العملية أتقنها وأسنها، ومن تشريع القوانين أرفعها وأدقها سواء أكان في العلوم الاجتماعية أم الاقتصادية والإنسانية، ومطلق العلوم التكاملية))[٨٩]؛ لأن هذه العلوم مستمدة من علم الله الأزلي غير المتناهي من كل الجهات فمن يكون أعلم منه حتى يتحدى؟. وهو بحد ذاته دليل على الإعجاز حتى العلوم الحديثة وأن لم يشر إليها بنحو التفصيل فقد أشار إليها القرآن بنحو الكلية وأن لم يلتفتوا إليها إلا بعد مدة من الزمن نحو ما ثبت في محله من إشارات للحركة الجوهرية[٩٠] ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾[سورة النمل: ٨٨] والتلقيح بالرياح ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ ﴾[سورة الحجر: ٢٢] وهكذا.

(٨٧) المصدر نفسه: ١/ ١٦٨.

(٨٨) ينظر: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم: د. حميد النجدي، الإعجاز القرآني في ضوء الاكتشاف العلمي الحديث دراسة تاريخية وتطبيقات معاصرة: مروان وحيد شعبان التفتناري، الإعجاز العددي في القرآن الكريم: د. لبيب بيضون.

(٨٩) مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ١/ ١٦٩.

(٩٠) ينظر في مفهوم الحركة الجوهرية: تفسير القرآن الكريم (صدر المتألهين): ٧/ ١٤٥ -١٤٦، الشمس الساطعة: ٢١٧، وينظر: نفسه: ٢١٦، ٢١٩، ومحاورات التلميذ والعلامة (الكتاب نفسه): ٨٧ -٨٦، ٨٩، والإنسان الكامل في نهج البلاغة: ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٧، ١٣٨، والمعنى في ضوء التفسير العرفاني: د. حسين علي المهدي: ٣٩٦ -٣٩٩.

٥. إعجاز القرآن في الإنباء بالغيب: ومن الإعجازات القرآنية هو الإنباءات الغيبية فقد أخبر عما جرى في الأمم الماضية في عالم الفناء وبأصدق بيان ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾ [سورة يوسف: ١٠٢]، وجرى الأخبار عن أمور لم تكن في عصر التنزيل وكذلك أمور وأخبار مستقبلية في عالم الفناء وعالم البقاء إذ ﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾[سورة سبأ: ٣] وقوله ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾[سورة يونس: ٦١]، ومنها ما اخبر الله به عن انتصار الروم بعد عدة أعوام]﴿ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝١ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِي بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[سورة الروم: ٢ -٤]، فالإيمان بالغيب من مسلمات العقيدة الإسلامية، فـ(القرآن) دعوات من الغيب إلى الغيب حتى تتم الشهادة.

٦. إعجاز القرآن في البلاغة والفصاحة: أفتخر العرب في عصر النزول وقبله بفصاحتهم وتباروا فيما بينهم وكانت هذه الميزة من أهم ما يفتخرون به، وهي من أشرف مآثرهم وتشهد لذلك أسواقهم ومنتدياتهم التي يتفاخرون بها شعرا ونثرا فقد كان منهم الخطباء والشعراء البارعون، وقد دونت المصنفات في ذلك وضبطت الكتب فروع كلماتهم ودقائق عباراتهم، وما فيها من الجمال والكمال اللغوي والناظر إلى نتاجهم بعين البصيرة العلمية يشهد لهم في التقدم والإبداع ويعترف بالعجز والتحير أمامهم في هذا المضمار، فكانت المشيئة الإلهية أن تتحداهم بما أبدعوا فيه من فصاحة وبلاغة التي كانت شائعة في وقت التنزيل أمرهم بالإتيان بمثله أو بسورة منه، فعجزوا عن ذلك واعترفوا بقصورهم وتقصيرهم ونقلت لنا نصوصهم عند سماعهم قوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [سورة هود: ٤٤]

((أخذتهم الدهشة والتحير، وأمروا بإنزال ما علق على الكعبة المشرفة من القصائد والأشعار))[٩١]، ومن وجوه الإعجاز في الفصاحة والبلاغة الأحرف المقطعة في بداية السور إذ يرى السيد[٩٢] فيها نوعا من الإعجاز وهي من المتشابهات وهي سر بين المحبوب والحبيب بين الموحي والموحى إليه لا يعلمها أقرب المقربين، وقد نقل السيد رأي المفسرين فيها ناقدا ومقوما والآراء كما ينقلها في المواهب هي:

١. أنها من المتشابهات[٩٣] التي اختص الله تعالى بها أو بمن علمهم وهم أهل البيت عليهم السلام ويعلل السبب؛ لأنها أعيت العلماء عن الوصول إلى آثارها وفهم حقائق أسرارها.
٢. لها أهمية عظمى؛ لأنها عليها المدار في فهم المراد الإلهي والمخاطبات البشرية.
٣. هذه الحروف لها معانٍ وليست من المهملات لذا اختلف المفسرون في معانيها أو المراد منها، وما عُبِر عنه بالمعاني هو ليس معانٍ بالحقيقة على رأي السيد السبزواري، وإنما هي من باب الحكم والفوائد، أما المعاني الحقيقة فهي من مختصات الله فمن تلك الحكم والفوائد:

- الإشارة إلى حساب الجمل والأعداد، ورأي السيد أن هذا الرأي باطل ولا يقوم عليه دليل من النقل أو العقل.
- إشارة إلى أشخاص إلهيين من أمثال القطب، والولي، والوتد أو الأوتاد وهذه الفكرة عند المتصوفة ودليلهم الكشف والشهود، ورأي السيد أن هذا الرأي باطل، ولا يقوم عليه دليل من النقل أو العقل، ودليل الكشف والشهود يخصهم ولا يخص الآخرين

(٩١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ١/ ١٧١، وينظر كتب البلاغة والفصاحة والتي تناولت شأن الإعجاز منها: دلائل الإعجاز: الجرجاني، أسرار البلاغة: الجرجاني، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: مصطفى صادق الرافعي.
(٩٢) ينظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ١/ ٧٧ – ٨٠، ونفسه: ٥/ ٥ – ٦.
(٩٣) المصدر نفسه: ١/ ٥ ينظر نفسه: ١/ ٧٧ – ٨٠، ونفسه: ٥/ ٥ – ٦ وينظر في أنها من المتشابهات: جامع البيان عن تأويل القرآن: الطبري: ٣/ ٢٣٨، التبيان في تفسير القرآن: ١/ ٤٨، تفسير الميزان: الطباطبائي: ٣/ ٣٢.

والقرآن للجميع.

- هذه الحروف سر من أسرار الإعجاز القرآني، فهذه الحروف على الرغم من أنها مقطعة أعيت البلغاء عن فهما فضلاً عن مجاراتها ((فإن في هذه المقطعات لطافة لا تكون في غيرها وحلاوة لا توجد في ما سواها فإعجازها في الفصاحة والبلاغة نحو إعجاز خاص))[٩٤]، فالإعجاز القرآني بالحروف المقطعة التي تعني رموز لمعانٍ:
- تمهيداً لإصغاء انتباه المخاطبين والسامعين[٩٥]، ورد السيد هذا الرأي قائلًا عنه أنه بعيد عن الحكمة.
- من بواطن القرآن فإنّ لكل ظاهر باطنا وافق السيد هذا الرأي.
- رموز لبعض العلوم التي سترها الله عن عباده.
- أسرار بين المحبوب والحبيب بين الموحي والموحى إليه لا يعلمها أقرب المقربين حتى أمين الوحي جبرائيل عليه السلام على عظمة منزلته، فهي أسرار إلهية بين الله والرسول صلى الله عليه وآله ((وهذا هو دأب المتيمين من الأحباب وقديماً قالوا أن للحب لغة خاصة في مقابل كل لغة:

بين المحبين سر ليس يفشيه قول ولا قلم للناس يحكيه

هذا في الحب المجازي، وأما الحقيقي فلا يعقل تحديده بحد أبداً))[٩٦]، وهذا الرأي يذهب إليه السيد السبزواري بقوة.

- بعد تركيب الحروف بعضها مع بعض تشير إلى أمور عظيمة في الشريعة، ورد السيد هذا؛ لأن الاحتجاج بالألغاز والرموز لا يعتمد عليه عند الأعلام فكيف بالملك

(٩٤) مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ٥/ ٧٨ -٧٩، وينظر هذا الرأي: مجمع البيان: ٢: ٦٠، وتفسير القرآن الكريم: (صدر المتألهين): ٦/ ١٤.

(٩٥) وينظر في هذا الرأي: مجمع البيان: ١/ ٦٠.

(٩٦) مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ٥/ ٥، ينظر هذا الرأي في تفسير القرآن الكريم: (صدر المتألهين): ٦/ ١٧ -١٨، والصافي في تفسير القرآن: الفيض الكاشاني: ١/ ١٣٣ -١٣٤.

العلام، فلا يستطيع المرء الاحتجاج بالغامض؛ لذا يذهب السيد إلى أنها من المتشابهات.

- أنها أسماء للسور التي بدأت بها ويرد عليه السيد أن فيه من الغرابة ما لا يخفى[٩٧].
- إن الحروف المقطعة تجليات لما في السور من معانٍ وإن كانت مؤلفة من الحروف الهجائية نفسها بحسب الظاهر.

وطرح السيد شبهة ترى أن البلاغة والفصاحة كالجمال والملاحة هي غرائز طبيعية خارجة عن الاختبار والتحدي؟. وردها بقوله هذا الرأي فاسد من عدة جهات:

أ. ظهور العجز والقصور عند من كان يعدها مزية إبداع وتحدي فيما بينهم، وهو المطلوب وإن كانت غرائز فالشجاعة غريزة ولكنهم يتبارون فيها ويتحدى بعضهم بعضا.

ب. الوجدان يشهد للاختبار في الغرائز فلا جهة لهذه الدعوة.

٧. إعجاز القرآن بعدم الاختلاف فيه[٩٨]: القرآن الكريم محفوظ من التناقص والاختلاف من أوله إلى آخره؛ لأنه من علام الغيوب فهو عارف بالكليات والجزيئات وما توهم أنه تناقض أو اختلاف، فهو في فهم المتلقي وبحسب حاجته إلى التدبير فيه؛ لأنه قد يكون التوهم بين خاص وعام، ومطلق ومقيد، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [سورة النساء: ٨٢]، والله واحد أحد فرد صمد وهو ما تشهد له الأدلة العقلية والنقلية وكل ما يصدر منه واحد إذ فعله واحد كذاته والكلام من فعله إذن فهو واحد لا اختلاف ولا خلاف فيه، وهناك أمر آخر وهو أن القرآن نزل على الفطرة السليمة المستقيمة والفطرة واحدة، فالقرآن واحد ومن ظن إن فيه

(٩٧) ينظر هذا الرأي في التبيان: ١/ ٤٨.

(٩٨) ينظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ١/ ١٧٢ -١٧٣.

تناقض أو فيه تغير في بعض الأحكام بـ(النسخ) فهذه الأمور جرت لمصالح دنيوية أو أخروية، وقد آخذه قوم على أنه من متناقضات القرآن ويرد عليه بحسب رأي السيد السبزواري هذا ليس من الاختلاف ((بل هو من شؤون جعل القانون وحدوده... على طبق المصالح والمقتضيات))[٩٩]، وهذه مزية من مزايا الإعجاز.

الخاتمة ونتائج البحث

- تحديد المفاهيم مزية واضحة في منهجية السيد السبزواري فمثلا يرى أنّ التفسير بالرأي هو الفهم الشخصي للقرآن الكريم مع الحكم والإذعان وترتيب الآثار عليه على أنّه هو مراد الله جلت قدرته أما الأخذ بظاهره المتعارف عليه فلا بأس فيه، وكذلك الفهم الذهني بسبب الحركة الفكرية البسيطة الذي يصاحب التلقي الأولي للنص ولا يترتب عليه أثر في الحكم فلا إذعان ولا اعتقاد وهنا لا إشكال في هذا الفهم أيضا؛ لأنه قد يكون بلا اختيار.
- لجأ السيد إلى التخلص من التفسير بالرأي بالاستناد إلى تفسير القرآن بالقرآن والسبب؛ لأنه تبيان كل شيء، فأولى أن يكون تبيانا لنفسه واستظهر معاني الآيات القرآنية المباركة بقرائن معتبرة، تحاشياً للتفسير بالرأي.
- منهجه في التفسير هو تفسير القرآن بالقرآن والسبب؛ لأنه تبيان كل شيء، وكذلك تفسير القرآن بالسنة.
- للمحكم دلالتان على رأي السيد السبزواري: المتقن في كل شيء بما في ذلك الأسلوب والمعنى والإعجاز ولجميع آيات الكتاب بما فيها المتشابهات أي كل القرآن محكم من هذه الجهة؛ لأنها صادرة من المبدأ الأزلي، والمحكم المراد منه المصون عن التردد والاحتمال في الأذهان المستقيمة، والمحكم أي معلوم الدلالة، وسميت الآيات المحكمة بأم الكتاب ﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [سورة آل عمران: ٧]؛

(٩٩) المصدر نفسه: ١/ ١٧٣.

أي أصله، وإليها ترجع باقي الآيات باعتبارها أصل والباقي فروع، والفروع ترجع إلى أصولها عند قصور العقول عن درك معانيها، فهي تعد المادة الأساس لجميع الآيات الشريفة فلا بد من رجوعها إليها، وهو المعنى اللغوي الذي أشار إليه أصحاب المعاجم.

- للمتشابه دلالتان الالتباس بسبب التَرَدد والاحتمال أي القابل للاحتمالات، ومن هذا النوع آيات الصفات، والمعنى الثاني التماثل والانطباق التام على معاني الكمالات الموجودة في تمام القرآن إذ إنه من هذه الجهة كله متشابه في الفصاحة والبلاغة وبديع الأسلوب لصدوره من مبدأ الكمال والجمال.
- يرى السيد أن الظاهر ما يمنحه النص للجميع للعوام ولغيرهم ويجب الأخذ به، والباطن هي المعاني المتعددة التي يمكن أن يمنحها النص، أو الأبعاد الموجودة فيه، أو هو تعدد مراتب المعنى وهو ما عبّر عنه بالتشكيك أو هي مراتب التأويل التي علمها الله الراسخين في العلم؛ لأن التأويل والغيب علمه بالذات مختص بالله وعلم الرسول ﷺ والأئمة عليهم السلام بالعرض ويصلون إليه بالإشارات والعلامات أو بالإلهام؛ لذا كانت معاني القرآن متجددة.
- لم يتعرض السبزواري لسبب النزول ويذكر العلة في ذلك؛ لأن الآيات المباركة كليات تنطبق على مصادقيها في جميع الأزمنة فلا وجه لتخصيصها بزمان النزول أو بفرد دون فرد آخر.
- فهم السيد مصطلح المكي والمدني وطبقه على الآيات القرآنية على أساس الخصائص الأسلوبية والموضوعية لكل منهما.
- لا حد للناسخ وللمنسوخ عنده تعالى وأن كان النسخ أساساً في التشريعات، والنسخ قد يتعلق بتمام الآية أو الحكم كله، وأخرى ببعض الجهات دون بعض، والنسخ بيان انتهاء أمد الحكم الثابت سابقاً، والنسخ نوع من البداء؛ لأنه من التحول والتغير.

- في مناسبة الآيات لم يتعرض لبيان النظم لكل آية وذلك؛ لأن الجامع القريب في جميعها موجود، وهو تكميل النفس أو الهداية، إلا أنه كان يقدم في كل سورة ما حوته من معانٍ عامة وكذلك يقدم لكل مقطع قرآني ما حواه من المعاني، فقد تكلم السيد في مناسبة الآيات على أساس دلالتها ومقاصدها الكلية وكان يفتتح كل سورة بملخص لما حوته من معاني، وكذلك كل مقطع.
- حقيقة الإعجاز: قدرة النفس الإنسانية على إيجاد ما يخرق به الطبيعة والعادة، والتصرف في هذا العالم، بما هو خارج عنه، كل ذلك بإقدار من الله تعالى عليه لمصالح متعددة تقتضيها الظروف، والإعجاز والتحدي ليس من باب الصرفة كما ذهب إليه قوم، وإنما هو من باب إتمام الحجة وحسب إذ هم لا مجال لهم أمام الخالق والمعجز والمتحدي الحقيقي.
- المتحدي هو النبي أو القرآن الكريم إذ لا سنخية أي لا مشابهة بين المتحدي الله جلت قدرته والمتحدى عامة الخلق.
- ويرى السيد أيضاً أن القرآن كله معجز من جميع جهاته بأسلوبه، وكلماته، وفصاحته، وبلاغته، وبأحكامه، وآدابه، وبقصصه، وإرشاداته، وأصوله، وفروعه، وبحقائقه، وواقعياته، وغير ذلك مما لا يبلغ حد الإحصاء...
- رأي السيد في الأحرف المقطعة بأنها نوع من الإعجاز وهي من المتشابهات ولها أهمية عظمى؛ لأنها عليها المدار في فهم المراد الإلهي والمخاطبات البشرية، وهذه الحروف لها معانٍ وليست من المهملات لذا اختلف المفسرون في معانيها أو المراد منها ويذهب السيد إلى الذي عبر عنه بالمعاني هو ليس معاني بالحقيقة، وإنما هو من باب الحكم والفوائد، أما المعاني الحقيقة فهي من مختصات الله فمن تلك الحكم والفوائد إنها من بواطن القرآن فأن لكل ظاهر باطناً أو أنها رموز لبعض العلوم التي سترها الله عن عباده، وهي سر بين المحبوب والحبيب بين الموحي والموحى إليه لا يعلمها أقرب المقربين وقد نقل السيد رأي المفسرين فيها ناقدا ومقوما.

أهم المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

- الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي، تحقيق: سعيد المندوب، الناشر: المطبعة: لبنان –دار الفكر، الطبعة: الأولى: ١٤١٦ –١٩٩٦م.
- أسباب النزول: أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، الناشر: مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع –مصر: ١٣٨٨ هـ –١٩٦٨م.
- أسرار البلاغة (كتاب): أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، قراه وعلق عليه: أبو فهر (محمود محمد شاكر)، الطباعة والناشر: دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع –جدة، المطبعة: المدني –مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ–١٩٩١م.
- أصول التفسير والتأويل: السيد كمال الحيدري، منشورات دار فراقد، قم –إيران، المطبعة ستاره، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ –٢٠٠٦م.
- الإعجاز العددي في القرآن الكريم: د. لبيب بيضون، مؤسسة الأعلمي: بيروت–لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ –٢٠٠٥م.
- الإعجاز العلمي في القرآن الكريم: د. حميد النجدي، الناشر: دار الأنصار، المطبعة: سيد الشهداء عليه السلام، الطبعة الثالثة: ١٤٢٩هـ. ق –٢٠٠٨م.
- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: مصطفى صادق الرافعي، الناشر: شركة الأرقم بن أبي الأرقم، د. ط، د. ت.
- الإعجاز القرآني في ضوء الاكتشاف العلمي الحديث دراسة تاريخية وتطبيقات معاصرة: مروان وحيد شعبان التفتناري، قدم له الشيخ محمد علي الصابوني، والدكتور إبراهيم محمد حسن، والشيخ محمد حكمت معلم، الناشر دار المعرفة، الطبعة الأولى: ١٤٢٧هـ. ق –٢٠٠٦م.
- ألطاف الباري من نفحات الإمام السبزواري: عبد الستار الحسني، الناشر: مؤسسة طهران، المطبعة: الكوثر، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٤م.

- الإنسان الكامل في نهج البلاغة: حسن حسن زادة الآملي، ترجمة عبد الرضا افتخاري، نشر مؤسسة المعارف الإسلامية، المطبعة: باسدار إسلام، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ -١٩٩٥م.
- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: محمد باقر المجلسي، الناشر: مؤسسة الوفاء -بيروت -لبنان، الطبعة الثانية: ١٤٠٣ هـ -١٩٨٣ م.
- تأويل القرآن النظرية والمعطيات: السيد كمال الحيدري، منشورات دار فراقد، قم-إيران، المطبعة ستاره، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ -٢٠٠٥م.
- التبيان في تفسير القرآن: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، الناشر والطباعة: المكتب الإعلام الإسلامي، ودار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
- تفسير العياشي: محمد بن مسعود العياشي، تحقيق: الحاج السيد هاشم الرسولي المحلاتي، الناشر: المكتبة العلمية الإسلامية -طهران، د. ت، د. ت.
- تفسير القرآن الكريم: محمد صدر الدين الشيرازي، مع تعليقات الحكيم الإلهي علي النوري، تصحيح محمد خواجوى، منشورات بيدار -قم، المطبعة أمير، الطبعة الثانية، ١٣٧٣هـ. ش=١٤١٥هـ. ق.
- التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب: محمد هادي معرفة، مؤسسة الطبع والنشر في الآستانة الرضوية المقدسة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ. ش =١٤٢٦هـ. ق.
- تلخيص التمهيد: محمد هادي معرفة، الناشر: مؤسسة التمهيد -قم المقدسة، الطبعة الأولى، المطبعة ستاره، ١٤٢٩هـ. ق -٢٠٠٨م.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ضبط وتوثيق وتخريج: صدقي جميل العطار، قدم له: خليل الميس، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د. ط، ١٤١٥ هـ -١٩٩٥م.
- الدر المنثور وبهامشه القرآن الكريم مع تفسير ابن عباس: جلال الدين السيوطي،

الناشر: دار المعرفة -جدة، المطبعة: فتح -جدة، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ. ق.

- دلائل الإعجاز: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، قراه وعلق عليه: أبو فهر (محمود محمد شاكر)، الطباعة والناشر: دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع -جدة، المطبعة: المدني -مصر، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ -١٩٩٢م.
- الكافي: الشيخ الكليني، تحقيق: علي اكبر غفاري، الناشر: دار الكتب الإسلامية- آخوني، مطبعة حيدري، الطبعة الثالثة، ١٣٨٨هـ.
- المعنى في ضوء التفسير العرفاني: د. حسين علي حسين المهدي، الناشر: الفيحاء ودار ومكتبة البصائر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى: ١٤٣٥هـ- ٢٠١٤.
- مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني، اعتنى بتصحيحه الشيخ أمين سليم الكردي، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، د. ت.